WWW.ATHAREBARTAR.COM

رَوائع التراث الإسلامي

مَسَائِلُ نَافِعِ بنِ الأَزرَقِ

لابنِ عَبَّاس

تأليف حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

تحقيق

عبد الكريم أحمد جدبان

مكتبة التراث الإسلامي

WWW.ATHAREBARTAR.COM

مقدمة التحقيق

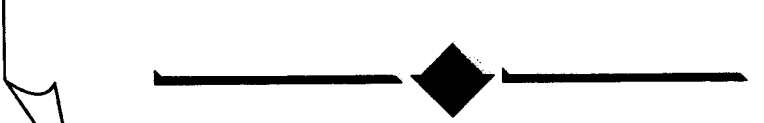

WWW.ATHAREBARTAR.COM

تصدير

اللغة هي وجه الفكر الظاهر للملأ، وهي خاصية من أبرز خصائص الأمة، ومرآة حضارتها، وعامل مهم من عوامل وحدتها. وكل أمة تعتز بشخصيتها وتفخر بذاتيها، تهتم بلغتها وتحافظ عليها محافظتها على أبنائها. فهي وإن كانت لا تخرج في ظاهرها عن حروف وكلمات فإن لها، في شكلها المنطوق أو المكتوب، تأثيراً لا يعادله تأثير في نفوس أبنائها، فكم من مقال أو خطاب ... غيَّر وجه التاريخ.

وللغة العربية بشكل خاص في أفئدة معظم الناطقين بها منزلة أسمى مما لغيرها عند أبنائها. فهي لغة القرآن، الوحي الإلهي الذي كرم الله عز وجل به العربية، والذي يفقد إعجازه بترجمته، مما جعل لها مكانة رفيعة أيضا عند أجناس متفرقة مسلمة غير عربية.

وقد سايرت اللغة العربية تقدم العرب العلمي والحضاري في الماضي، وكانت لفترة من الزمن لغة العلوم في جميع أنحاء العالم، وكان علماؤها أهلا لحمل رسالتها، فوضعوا لها قواعد مكينة تحميها من عبث العابثين، وتكفل تقدمها وتطورها، هذه اللغة تتعرض اليوم إلى حملة مسعورة إن لم نقل مؤامرة غرضها القضاء عليها. فمن دعوة إلى العامية، إلى دعوة للكتابة بالحروف اللاتينية، إلى المطالبة بإلغاء الإعراب ... آراء مختلفة ظاهرها تطوير اللغة، وباطنها القضاء عليها، إذ هي لغة القرءان، والسبيل الأوحد لفهم خطاب الله عز وجل وجل، وهي بعد ذلك أهم عنصر من عناصر تكوين الأمة العربية.

إن انتشار اللغة وازدهارها مرتبط بوضع الأمة العلمي والحضاري، فعندما كان العرب في أوج حضارتهم فرضت لغتهم نفسها على عدد كبير من شعوب الأرض، حتى على أولئك الذي احتلوا بلادهم عسكريا، وكانت عاملا من عوامل تقدم العرب والمسلمين.

أما اليوم حين خيّم الركود على الربوع العربية فقد وجد أعداء العرب منفذاً، فحاولوا ربط تأخر العرب في الحقل العلمي بلغتهم، في مخطط ذكي للقضاء على

WWW.ATHAREBARTAR.COM

ذاتية الأمة وسر وجود « الإسلام »، بعد ما أخفقت طريقة الاحتلال العسكري في تأدية أغراضها.

نحن لا ننكر أهمية تطوير اللغة وفائدة وجود أسماء للمخترعات الحديثة والمصطلحات العلمية فيها، ولا ننكر أثر ذلك في تقدم اللغة، لكن عملية توفير هذه المصطلحات يجب أن تتم وفق أسس سليمة وفرَّتها اللغة نفسها، بحيث يؤدي ذلك إلى إثراء اللغة وليس إلى هدمها. إن ما يواجه العربية اليوم يمكن أن يواجه كل اللغات، وربما كانت العربية أقدر من غيرها، بما لها من ميزات على مواجهة هذا الوضع وتخطّيه. فالركود والجمود في عقول أبناء اللغة وليس في اللغة نفسها. وعلى هؤلاء أن يحركوا اللغة ولا يفسحوا المجال أمام أعدائها ليطعنوا بها ويستغلوا حالة طارئة في تاريخها.

واللغة العربية هي لغة القرآن، ولو لا القرآن لكانت اللغة العربية في عداد اللغات المندثرة. وفهم القرآن متوقف على فهم اللغة العربية، وإدراك أسرارها، والشعر كما وصفه ابن عباس « ديوان العرب » . لذلك ينبغي إيلاء اللغة العربية والشعر العربي اهتماما بالغا من قِبَل المسلمين جميعا، على اختلاف أجناسهم وتعدد لغاتهم، وسيجد المهتمون بلغتهم في كتب الأقدمين منهلا صافيا، ومعينا لا ينضب.

المؤلف

هو: عبد الله، بن عباس، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والجد الأكبر لبني العباس.

أمه

أمه: أم الفضل، لبابة، بنت الحارث الهلالية.

مولده

ولد وبنو هاشم محصورون في شعب أبي طالب، قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل: بخمس.

وفاته

وكفّ بصره في آخر عمره، توفي سنة (٦٨هـ) وهو في السبعين من عمره.

WWW.ATHAREBARTAR.COM

صفته

كـــان أبيض، طويلا، مشربا صفرة، جسيما وسيما صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء [١].

نشأته

نشـــأ في بيـــت النبوة، ومعدن الرسالة، يرقب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حـــركاته وسكناته، ويترسم خطواته، فأحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنباهته وأدبه، ولاحت له فيه مخايل النجابة، فكان يدعو له.

لـــه في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة (١٦٦٠) حديثا، أما في كتب الشيعة فلم يحص بعد.

[ابن عباس في أحاديث النبي ﷺ]

عـــن ابن عباس نفسه، « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضمه إليه، وقال: اللهم علّمه الحكمة » [٢].

وعن ابن عمر أنه كان يقرب ابن عباس، ويقول: « إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاك فمسح رأسك، وتفل في فيك، وقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل » [٣].

---

(١) الإصابة ٣٢٢/٢.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٣)، والترمذي برقم (٣٧٦٠)، وابن ماجة برقم (١٦٢).

(٣) أخـــرجه البخاري برقم (٧٥)، وبرقم (١٤٣)، وبرقم (٣٧٥٦)، وبرقم (٧٢٧٠)، ومسلم برقم (٢٤٧٧)، والنســـائي في فضـــائل الصحابة برقم (٧٤)، وبرقم (٧٥)، وبرقم (٧٦)، والترمذي برقم (٣٨٢٣)، وبـــرقم (٣٨٢٤)،وابن ماجة برقم(١٦٦). وأحمد في المسند ٢١٤/١، ٣٢٧، ٣٥٩، وفي الفضائل برقم (١٨٥٧)، وبرقم (١٨٥٨)، وبرقم (١٨٥٩)، وبرقم (١٨٨٣)، وبرقم (١٩٢٣)، والبغوي في تفسيره ٢٨/١، وابن حبان برقم (٧٠٥٣)، وبرقم (٧٠٥٤)، وبرقم (٧٠٥٥) من طرق عن ابن عباس.

WWW.ATHAREBARTAR.COM

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، « أنه سكب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وضوءا عند خالته ميمونة، فلما فرغ قال: من وضع هذا؟ فقالت: ابن عباس. فقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل » [١].

وعن ابن عباس: « دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمسح على ناصيتي، وقال: اللهم علمه الحكمة، وتأويل الكتاب » [٢].

وعن عكرمة قال: « أرسل العباس عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فانطلق ثم جاء، فقال: رأيت عنده رجلا لا أدري (ليت) من هو! فجاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخبره بالذي قال عبد الله، فدعاه فأجلسه في حجره، ومسح رأسه، ودعا له بالعلم » [٣].

وعن الشعبي، قال: « دخل العباس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له ابنه عبد الله: لقد رأيت عنده رجلا! فقال: ذاك جبريل » [٤].

وعن ابن عمر: « دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس، فقال: اللهم بارك فيه، وانشر منه » [٥].

وعن الأعمش ، عن مسلم، قال عبد الله: — يعني ابن مسعود — « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » [١].

ورواه البغوي في معجمه، وابن خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. الإصابة ٣٢٢/٢.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٠)، ومسلم برقم (٤٥٢٦)، وأحمد برقم (٢٢٧٤). ورواه أبو الطاهر الذهلي في فوائده. الإصابة ٣٢٢/٢.

(٢) طبقات ابن سعد. الإصابة ٣٢٣/٢.

وأخرجه البخاري برقم (٧٣)، والترمذي برقم (٣٧٥٩)، وابن ماجة برقم (١٦٢)، وأحمد برقم (٣٢٠٦)، بلفظ: « اللهم فقه ».

(٣) طبقات سعد. الإصابة ٣٢٣/٢.

(٤) رواه ابن سعد في طبقاته، الإصابة ٢/ ٣٢٣.

(٥) رواه الزبير بن بكار، الإصابة ٢/ ٣٢٣.

WWW.ATHAREBARTAR.COM

وعن ابن عباس: « أنه رأى جبرائيل عليه السلام مرتين »[٢].

وعَـــنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ كُرَيْبًا أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهـــم عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ آخرِ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَرَّنِي فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى صَلَاته خَنَسْتُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّه صَـلَّى اللَّهـــم عَلَيْه وَسَلَّمَ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لي مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حذَائي فَتَخْنسُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَوَيَنْبَغي لأَحَد أَنْ يُصَلِّيَ حذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّه الَّذي أَعْطَاكَ اللَّهُ قَالَ فَأَعْجَبْتُهُ فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا»[٣].

(١) رواه الطـبري في تفسيره ١/٦٥، وأحمد في الفضائل برقم (١٥٥٨)، وبرقم (١٨٦٠)، وبرقم (١٨٦٣)، وسنده صحيح.

ورواه من طريق سلمة بن كهيل، عن ابن مسعود: أحمد في الفضائل برقم(١٥٥٦)، وبرقم (١٨٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٥٨).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٩٠٢).

WWW.ATHAREBARTAR.COM

[ابن عباس مع الخليفة عمر بن الخطاب]

يروى أن عمر بن الخطاب كان يقدم ابن عباس صبياً على كبار الصحابة تقديراً لذكائه الحادّ ومعارفه الواسعة [١].

كان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحداً سواه [٢].

قال الإمام القاسم بن إبراهيم: وعن الكلبي عن عمر بن الخطاب، أنه قال لابن عباس يوما من الأيام: يا أبا العباس ضربتني البارحة أمواج القرآن في آيتين قرأهما، لم أعرف ما تأويلهما؟

فقال ابن عباس: ما هما يا أمير المؤمنين؟

قال: قوله ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [٣].

فقلت: سبحان الله أيظن نبي من أنبياء الله أن الله لا يقدر عليه، أو أنه يفوته إن أراده، ما ظن هذا مؤمن؟!

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [٤]. فقلت: سبحان الله كيف هذا أيسَ الرسل من نصر الله، أو تظن أن قد كذب وعد الله؟!! إن لهاتين الآيتين خبرا من التأويل ما فهمته؟!!

فقال ابن عباس: أما ظن يونس فإنه ظن لن تبلغ به خطيئته أن يُقَدِّر الله بها عليه العذاب، و لم يشك أن الله إن أراده قدر عليه، فهذا قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾. وأما قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾. فهو استيئاسهم من إيمان قومهم، وظنهم: فهو ظنهم لمن أعطاهم الرضى في العلانية، أنه قد كذّبهم في السر،

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ١/١٤٠.

(٢) الأعلام٥/٩٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٢.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٤.

WWW.ATHAREBARTAR.COM

وذلك لطول البلاء عليهم، و لم تستيئس من نصر الله، و لم يظنوا أن الله قد أخلفهم ما وعدهم.

فقال عمر فرجت عني فرَّج الله عنك [١].

قال ابن عباس: فإن رجلا لقيني آنفا فقرأ علي قول الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢]. هو يقول حتى يطهرن بالماء، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾، قبلا ودبرا،

---

(١) أخرج الزبير بن بكار في الموفقيات من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم، أن معاوية قال له يوما: إني قد ضربتني أمواج القرآن البارحة في آيتين لم أعرف تأويلهما ففزعت إليك.

قال: وما هما؟

قال: قول الله: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾. وأنه يفوته إن أراده، وقول الله: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾. كيف هذا يظنون أنه قد كذبهم ما وعدهم؟

فقال ابن عباس: أما يونس. فظن أن لن تبلغ خطيئته أن يقدر الله عليه فيها العقاب، و لم يشك أن الله إن أراده قدر عليه.

وأما الآية الأخرى، فإن الرسل استيأسوا من إيمان قومهم، وظنوا أن من عصاهم لرضى في العلانية قد كذبهم في السر، وذلك لطول البلاء عليهم، و لم تستيئس الرسل من نصر الله، و لم يظنوا أنهم ــ لعلها أنه ــ ما وعدهم.

فقال معاوية: فرجت عني يا ابن عباس فرج الله عنك. الدر المنثور ٥/٦٦٦ ٦٦٧.

وأنا استبعد أن يكون السائل هنا معاوية، وإنما أراد أشياعه أن يصوروه بأنه باحث متدبر في كتاب الله. ويشبعوه بما لم يأكل. وحري أن يكون السائل عمر بن الخطاب الذي كان يجالسه ابن عباس كثيراً فيسأله ويستفتيه. كما في رواية الإمام القاسم.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

WWW.ATHAREBARTAR.COM

فقلت: كفى مَن ذَهَبَ إلى هذا التأويل كفرا!! إنما عنى الله تبارك وتعالى حتى يطهرن من الدم، فإذا تطهرَّن منه بالماء ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني طاهرات غير حُيَّض. فقال عمر: إن قريشا لتغبط بك يا بن عباس ، بل جميع العرب، بل جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال خريم بن فاتك الأسدي:

ما كان يعلم هذا العلم من أحد ... بعد النبي سوى الحبر ابن عباس

من ذا يفرج عنكم كل معظلة ... إن صار رسما مقيما بين أرماس

مستنبط العلم غضا من معادنه ... هذا اليقين وما بالحق من باس

وصدق لعمري عمر بن الخطاب إن الأمة لتغبط بأن يكون فيها ومنها، من يجادل أهل الإلحاد في تنزيل الله والكفر بآيات الله سبحانه عنها [١].

وأخرج البخاري من طريق ابن مُليكة عن ابن عباس، قال: „ قال عمر ابن الخطاب يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فيمن يَرَون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [٢] ؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر. فقال: قُلوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء.

فقال: يا ابن أخي! قل، ولا تحقر نَفسَك.

قال ابن عباس: ضُرِبَت مثلاً لعمل.

فقال عمر: أي عمل؟

قال ابن عباس: لرجل يعمل بطاعة الله، ثم بعث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله „ [٣].

---

(١) مجموع الإمام القاسم الرسي، كتاب الناسخ والمنسوخ. بتحقيقنا.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤١٤٧)،جامع البيان ٤٧/٣، الإتقان ٢٣٦/٤.